مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 22 /حزيران/2025
المجلد(6)- العدد(2)-الجزء(3) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

مقال مراجعة موضوع

(النساء في لوحات المستشرقين) مراجعة كتاب للمستشرقة لين ثورنتون

م . م . علي جبار صبر الاوسي
رئاسة جامعة ديالى

الكلمات المفتاحية: الحجاب، المرأة المسلمة، الحرملك

الملخص:

تظل المرأة الشرقية رمزًا مستمرًا لقيم دينها الإنساني العظيم، حيث تحافظ بشدة على هويتها. إن قانون حياتها هو قانون الأمومة المقدس، الذي يتضمن الطهر والعفة، والوفاء والكرامة، والصبر والعزيمة، وهي تجسد جميع فضائل الأم. لذا، فإن طريقها نحو الحياة الفاضلة هو في جوهره نفس الطريق القديم، لقد وجهنا أقلامنا للدفاع عن المرأة الشرقية المسلمة، نظرًا لأن بعض الكتاب الغربيين لم يعترفوا بحقها في كرامتها الإنسانية، حتى في مسألة حجابها الذي اعتبروه قيدًا عليها، وسعوا للتأثير على المرأة المسلمة من خلاله. وقد انقسمت نظرة المستشرقين تجاه الشرق إلى قسمين: أحدهما منصف والآخر متعالٍ وغير منصف.

على سبيل المثال، ذكرت المستشرقة لين ثورنتون في كتابها العديد من الأحاديث التي تصوّر النساء في حالة من الكسل والاسترخاء، دون أن يقمن بأي عمل، سواء كن بمفردهن أو مع مجموعة من النساء الأخريات، حيث تم تصويرهن كغارقات في أحلام اليقظة وهن يلوّحن بمراوح لطرد الذباب. أما موضوع الحرملك، فقد كان من أكثر المواضيع إثارة، حيث ساهمت فكرة حظر دخول الغرباء في تعزيز خيالهم وإطلاق العنان لأفكارهم.

يتحدث هذا الكتاب في عناوينه عن النساء في الشرق والنساء الأوروبيات، فضلاً عن اغواء الشرق، والاغراء والعديد من الامور الاخرى.

فقد تحدث الكتاب عن مواضيع الجنس، الحب، العنف، المكر والخداع وروح الدعابة التي تضمنتها هي التي تركت الأنطباع الذي لا يمكن إزالته عن عالم الشرق بأنه خيالي، شهواني وعنيف، فضلاً عن ذلك فقد أصبح صفحات ذلك الكتاب أنماطاً تتكرر في أعمال المستشرقين، وتناول الكتاب كيف كان تصوير النساء الشرقيات في مخادعهن الموضوع الأكثر انتشاراً في لوحات المستشرقين، وقد كان "الحرملك" تحديداً منطقة يحظر على الرجال الغرباء دخولها، وهذا ما أطلق العنان لمخيلة الفنانين، وقد اختلف أسلوب تعاطيهم مع هذه الموضوع إلى فئتين: فمن جهة كان الأمر مثيراً للشهوات، ومن جهة أخرى، حاول البعض نقل الإلفة العائلية

المشهودة في التعامل الأوروبي إلى العالم الشرقي، وقد اشتقت كلمة "الحرملك" من الكلمة العربية "حرام" التي تعني الغير شرعي، وفي الأستخدام الدنيوي لهذه الكلمة، نجد أنها إشارة إلى ذلك الجزء من بيت المسلم الذي تقطنه النساء، ويكون عادةً الأكثر عُزلة، وقد كانت النساء يعتبرن من المحرمات أو المقدسات، وتناول الكتاب ايضاً في طياته مسألة الاحتشام للمرأة ويؤدي الأحتشام إلى منع زيارات الذكور البالغين، ورغم أن النساء كن أحراراً بالاختلاط بأقربائهن المحرمين من الذكور، وبالضيوف الآخرين في حال كن محجبات، إلا أنهن كن يفضلن عادة البقاء بعيداً عن الأنظار في مخادعهن، ورأينا مشاهد الأمومة كانت نادرة بشكل لافت للنظر في أعمال المستشرقين، وقد تخيل العديد من الغربيين أنه لم يكن هناك من خيار آخر أمام النساء المسلمات سوى الاعتكاف في مخادعهن.

ان عملية ضرب الخمار على الوجه لم تكن واجباً دينياً؛ لأن القرآن الكريم أمر المؤمنات بستر حلهن وعوراتهن عن أي رجل عدا أزواجهن والرجال المحرمين عليهن، وذلك لتفادي إثارة الشهوات، وتدريجياً، أصبح الحجاب مؤسسة اجتماعية، وعلامة على الاحتشام والفضيلة، وإشارةً إلى الانتقال من الطفولة إلى مرحلة الأنوثة الكاملة.

وفي الحقيقة، كانت النساء اللواتي يعشن في المدينة والبلدات الكبيرة أكثر حرصاً على ارتداء الحجاب حيث لم يكن تفادي الالتقاء بالرجال الغرباء ممكناً.

يقول "دينت": كل جمعة، وهو يوم الطاعة الدينية للمؤمن يمضي خط طويل من النساء المحجبات يرافقهن الأطفال في الطريق إلى المقبرة، كأنهن صف من القصب على طول النهر، وتحب النساء المقبرة لأنها بالنسبة إليهن تعني تنفيساً مؤقتاً عن حالة العزلة الدائمة المفروضة عليهن بموجب شرائع الإسلام، وتمثل المقبرة مقصداً للخروج من المنزل، والدموع التي تذرفها النساء على الراحلين تمنحهن الراحة وتخلصهن من الهموم.

وعليه نحن نرد على ما كتب في كتاب (النساء في لوحات المستشرقين) بقولنا لهم من خلال ما ذكرته الصحفية الأمريكية (هلسيان ستانسبري) نشرت في مقالها: " إن المجتمع العربي الشرقي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد المرأة والرجل في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية، التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أمريكا وأوروبا، ولهذا أنصح أن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم".

اعزائي أن المرأة الشرقية هي استمرار متصل لآداب دينها الإنساني العظيم، وهي دائماً شديدة الحفاظ حارسة لحوزتها؛ فان قانون حياتها دائماً هو قانون الأمومة المقدس، هي الطهر والعفة، هي الوفاء والأنفة، هي الصبر والعزيمة، هي كل فضائل الأم، فما هو طريقها الجديد في الحياة الفاضلة، إلا طريقها القديم بعينه؟ أيتها الشرقية! احذري احذري! احذري ... تقليد الأوروبية التي تعيش في دنيا أعصابها محكومة بقانون أحلامها، لم تعد أنوثتها حالة طبيعية نفسية فقط

بل حالةً عقليةً أيضاً تشك وتجادل، أنوثة تفلسفت فرأت الزواج نصف الكلمة فقط، والأم نصف المرأة فقط، ويا ويل المرأة حين تنفجر أنوثتها بالمبالغة العقلية فتنفجر بالدواهي على الفضيلة، إنها بذلك حرة مساوية للرجل، ولكنها بذلك ليست الأنثى المحدودة بفضيلتها، أيتها الشرقية! احذري احذري! احذري خجل الأوروبية المترجلة من الإقرار بأنوثتها، أن خجل الأنثى من أنها أنثى يجعل فضيلتها تخجل منها كما إنه يسقط حياءها.

احذري فقد حذت إرساليات التبشير النسائية حذوهم وطافت البلاد تستدر الأموال وأقامت الحفلات الشائقة وتتوخى هذه الإرساليات النسائية تحسين أحوال المرأة الشرقية والتحبب إليها، وقد كانت من نتيجة الأعمال التي قامت بها أن إيرادات هذه الجمعيات تعززت بمبلغ طائلة.

اما كلمة (الحريم) التي ذكرت فأنه لفظٌ عام يدل عند العرب على كلِّ ما هو مقدس، فإذا ما طُبِّقت هذه الكلمة على منزل دَلَّت على أمنع قسم منه وأشدِّه حرمةً لدى المسلم، أي على المكان الذي تسكنه نساؤه، ويَنسج الأوربيون، على العموم، أفسد الآراء حول دوائر الحريم في الشرق، ويَعُدُّون دوائر الحريم دُورَ فسقٍ يسكنها نساءٌ سجينات تَعِسات يَقْضِين أوقاتهن في البطالة ويَلعنَّ حظهنَّ.

وعليه الإحصائيات تثبت أن المرأة الشرقية - بسبب الحجاب - أكثر نساء العالم تعففاً ولا نريد أن نمزق ستار العفاف وليس كما يقال المرأة جليسة المنزل.

وختاماً اني أرى النِّسَاء الأوروبيات فِي الاستقبالات بنظراتهن القاصرة والمتعجرفة فأقارنهن بِالنسَاء المسلمات فتترجح عندي كفة النِّسَاء المسلمات فيمَا يتهجم الاوروبيون على نسائنا هَل هُنَاكَ مجَال لمقارنة أَخْلَاق نِسَائِهِم بأخلاق نسائنا، أليست الْمَرْأَة الشرقية أوفى وأصدق وأجمل من الْمَرْأَة الاوروبية، الْمَرْأَة عندنَا تهب نَفسهَا لبيتها وترتبط بزوجها أما الاوروبية فحريتها الزَّائِدَة تحرمها كثيرا من صِفَات الانوثة، اذا فَرضنَا أَن نصف مَا يكْتب فِي أوروبا وينشر فِي صحفها صَحِيح فَمَا علينا الا أَن نشفق على الرِّجَال الاوروبيين.

المصادر والمراجع:

1- ثورنتون، لين، النساء في لوحات المستشرقين، ترجمة: مروان سعد الدين، ط1، دار الثقافة والنشر، سورية، 2007.

2- الهنساوي، سالم علي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1990.

3- الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، ط1، دار الكتب العلمية، (د- م)، 2000.

4- لوشاتليه، ألفريد، الغارة على العالم الإسلامي، ط2، منشورات العصر الحديث، (د- م)، 1387هـ.

5- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، القاهرة، 2012.

6- المقدم، محمد أحمد إسماعيل، عودة الحجاب، ط10، دار طيبة للتوزيع، القاهرة، 2007.

7- الثاني، عبد الحميد، مذكراتي السياسية، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ.

Review Article

The Book

(Women In Orientalist Paintings) By The Orientalist Lynn Thornton

Assist Lect .Ali Jabbar Saber Al –Osei

Presidency of Diyala University

ali.jabbar.alansire@uodiyala.edu.iq

Keywords: Hijab, Muslim Women, Harem.

Summary:

The Eastern Woman Remains A Constant Symbol Of The Values Of Her Great Human Religion, Steadfastly Preserving Her Identity. Her Life's Code Is The Sacred Law Of Motherhood, Which Includes Purity And Chastity, Loyalty And Dignity, Patience And Determination. She Embodies All The Virtues Of A Mother. Therefore, Her Path To A Virtuous Life Is Essentially The Same As The Ancient Path. We Have Directed Our Pens To Defend The Eastern Muslim Woman, Given That Some Western Writers Did Not Recognize Her Right To Human Dignity, Even In The Matter Of Her Veil, Which They Considered A Restriction And Sought To Influence Muslim Women Through It. The Orientalist View Of The East Was Divided Into Two Parts: One Fair And The Other Condescending And Unfair. For Example, In Her Book, The Orientalist Lynn Thornton Cited Many Hadiths That Depict Women In A State Of Laziness And Relaxation, Without Doing Any Work, Whether Alone Or With A Group Of Other Women. They Were Depicted As Immersed In Daydreams, Waving Fans To Shoo Away Flies. The Harem Was One Of The Most Exciting Topics, As The Idea Of Prohibiting Outsiders From Entering Helped To Stimulate Their Imagination And Unleash Their Ideas.